

الاستعارة التصويرية في معجم أساس البلاغة للزمخشري

مقاربة معرفية

أ.د. أسماء بنت عوض الجميعي

(أستاذ البلاغة والنقد بقسم اللغة العربية بكلية الآداب – جامعة الطائف)

ملخص البحث:

يتغيا البحث إنجاز دراسة معرفية تطبيقية مدونها إحدى كتب التراث العربي، وتستعين في إجراءاتها التحليلية بمعطيات الدرس اللساني المعرفي، بعنوان " الاستعارة التصويرية في معجم أساس البلاغة للزمخشري مقارنة معرفية " ، وتكمن أهمية الدراسة بوصفها تجمع بين عناية الاستعارة التصويرية بدراسة اللغة، وخصوصية جهد الزمخشري في فهمه العميق للاستعارة، نستشف منه مدى اقترابه من الدرس اللساني المعرفي . بما يشي بضرورة الوقوف على مدى التقارب المعرفي التصوري للاستعارة بين ما هو قديم في التراث العربي وما أنجز في الدرس الدلالي المعرفي الحديث. وقد وصل البحث إلى نتائج، أهمها: العمق الإدراكي الغزير عند الزمخشري لدلالات الاستعارة التصويرية في محاولته لربط المصدر بالهدف.

الكلمات المفتاحية: الاستعارة التصويرية – الدلالة المعرفية – المزج التصوري – أساس البلاغة – الزمخشري.

مقدمة:

لا شك في أن الاستعارة من المباحث البلاغية التي اهتم بها النقاد والبلاغيون قديما وحديثا. وإذا ركز القدماء على الناحية الجمالية وأنها عدول عن المعنى المباشر في النصوص البليغة، وأنها تقوم على علاقة المشابهة والاستبدال، فإن المحدثين تجاوزوا ذلك إلى عدها طريقة تفكير وجزءا من فهمنا للعالم. فالاستعارة لم تعد " ظاهرة لغوية ناتجة عن عملية الاستبدال؛ أو عدول عن معنى حرفي إلى معنى مجازي، بل هي عملية إدراكية كامنّة في الذهن تؤسس أنظمتنا التصورية وتحكم طبيعتنا الحياتية وهو ما يعني أن الاستعارة ذات طبيعة تصورية لا لسانية " ¹، وبعبارة أخرى الاستعارة " ليست قضية لغوية صرفية، وإنما هي جزء لا يتجزأ من البنية التصورية للإنسان، وأداة يدرك بها العالم ويتفاعل معه " ².

وفي هذا الإطار، ترصد هذه الدراسة تجليات الاستعارة التصورية في معجم أساس البلاغة، بوصفه مرجعا لغويا وثقافيا ويعكس تفكير العرب وتصوراتهم الذهنية، فقد حوى العديد من النماذج التي يمكن مقاربتها مقارنة عرفانية. أي يمكن النظر إليها برؤية جديدة من شأنها الإسهام في إثراء التراث العربي.

¹ - محمد الصالح البوعمراني ، دراسات نظرية وتطبيقية في علم الدلالة العرفاني ، مكتبة علاء الدين ، صفاقس ، ط1، 2009م، ص123.

² - عبد العزيز الحويديق ، نظرية الاستعارة في التراث البلاغي العربي بنية الاستبدال واستراتيجيات البيان ، أفريقيا الشرق ، د. ط، د.ت، ص7.

أهداف الدراسة:

- تحليل نماذج من الاستعارات التصويرية في معجم أساس البلاغة وفق ما طرحه جورج لايكوف ومارك جونسون.
- الوقوف على التقارب المعرفي للتصوري للاستعارة بين ما هو قديم في التراث العربي وما أنجز في الدرس الدلالي المعرفي الحديث.
- إبراز أثر الثقافة والمعرفة في تشكيل الاستعارات التصويرية.
- الإسهام في قراءة التراث العربي المعجمي برؤية جديدة.

ولتحقيق هذه الأهداف، فقد قسمنا البحث إلى مقدمة وثلاثة محاور حددها جورج لايكوف ومارك جونسون إضافة إلى خاتمة، يتناول المحور الأول الاستعارة البنيوية، ويختص المحور الثاني بالاستعارة الانطولوجية، أما المحور الثالث فيدرس الاستعارة الاتجاهية في المعجم. وقبل أن نفصل الحديث عن المحاور الثلاثة مهدنا للتحليل بتوطئة خصصناها لمفهوم الاستعارة التصويرية.

في ماهية الاستعارة التصويرية المعرفية:

تعد الاستعارة من الأساليب البلاغية التي اهتم بها اللغويون والبلاغيون قديما وحديثا، وعدها القدماء عدولا عن المعنى المألوف المباشر إلى معنى غير مباشر، وهي من مباحث علم البيان، تقوم على علاقة المشابهة بين طرفين متباعدين، فعند الجاحظ يراد بالاستعارة " استبدال لفظ بآخر يمكن أن يقوم مقامه لما يوجد من شبه بين المشبه والمشبه به " ³، وعند عبد القاهر الجرجاني

³ - الجاحظ، البيان والتبيين، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط5، 1985، 4/ 211.

أن يكون للفظ أصل في الوضع اللغوي معروف تدل الشواهد على أنه اختص به حين وضع ، ثم يستعمله الشاعر في غير ذلك الأصل ، وينقله إليه نقلا غير لازم " ⁴.

أما في المقاربات اللسانية المعرفية، فإن الاستعارة التصويرية ليست مجرد ظاهرة لغوية، بل أداة ذهنية تعكس طريقة فهمنا لذواتنا والعالم، فإننا نفهم بواسطتها المعاني المجردة، وتتجلى في صور حسية، وبعبارة لا يكوف وجونسون " فهم شيء ما وتجربته أو معاناته، انطلاقا من شيء آخر " ⁵. وبعبارة زولتان كوفكسيس " إذا فهمنا مجالا تصوريا Conceptual Domain من خلال مجال تصوري آخر، فنحن نكون إزاء استعارة تصويرية " ⁶؛ أي أننا نفهم المجردات بواسطة الصور المحسوسة.

وتقوم الاستعارة التصويرية على عملية الإسقاط الجزئي بين ميدانين تصوريين، الميدان المصدر والميدان الهدف، من أمثلة ذلك " الناس نباتات "، حيث " يفهم الانسان باعتباره ميدانا هدفا عن طريق ميدان مصدر هو النبات. فالإنسان يقطع رحلته في طريق الحياة كالنبته يبعث بذرة وينمو من الطفولة إلى المراهقة إلى الشباب فالكهولة وصولا إلى الشيخوخة وانتهاء بالموت. والنبته تغرس وتنمو وتورق وتمتد أغصانها وجذورها وتزهو وتثمر وتساقط أوراقها وتذبل حتى تموت وينتج عن عملية الإسقاط هذه الجزئية بطبعها " ⁷.

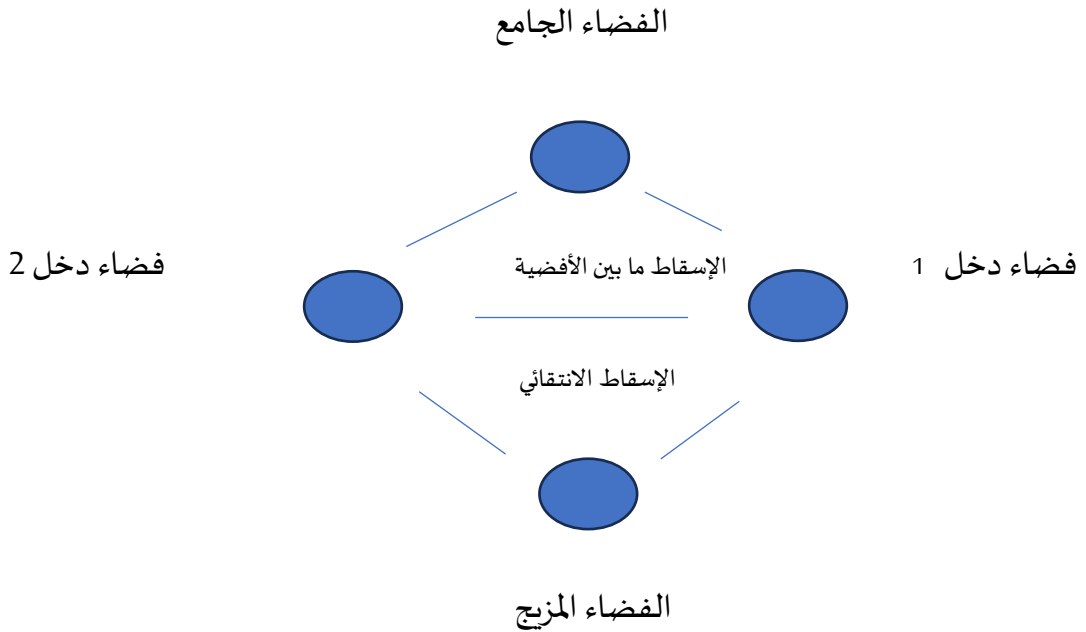
⁴ - عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، ط1، 1991، ص30.

⁵ - جورج لاكوف ومارك جونسون، الاستعارات التي نحيا بها، ترجمة: عبد المجيد جحفة ، دار توبقال للنشر، ط2، 2009 ص29.

⁶ - خالد ميلاد ، الدلالة النظرية والتطبيقات، الشركة التونسية للنشر، تونس، ط1، 2015، ص 482.

⁷ - محمد الصالح البوعمراني ، الاستعارات التصويرية وتحليل الخطاب السياسي، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان - الأردن، ط1، ص 16.

وقد جاءت نظرية المزج التصوري مكملة لنظرية الاستعارة التصويرية؛ فإذا كانت الاستعارة التصويرية تقوم على عملية فهم المجال الهدف بواسطة المجال المصدر ، فإن نظرية المزج التصوري عند فوكوني ومارك تيرنر يدمج فيها الفضاءات الذهنية، لإنتاج فضاء مزيج ، فالنظرية تقوم - كما أوجزها الأزهر الزناد - " على تمثيل ما يجري من العمليات العرفنية أن القول والتفكير ، وتجتمع تلك العمليات فيما يسميه أصحابها شبكة المزج المفهومي . وقوام هذا المنوال عدد من العناصر والعمليات منهل الأفضية الذهنية والإسقاط ما بين الأفضية والفضاء الجامع والمزج والإسقاط الانتقائي والتركيب والإكمال (الإتمام) والبلورة فالبنية الناشئة " ⁸. أي أن نظرية المزج التصوري مشكلة من أربعة أفضية ، الفضاء الأول والفضاء الثاني والفضاء الجامع والفضاء المزج ⁹. ويمكن بيان النظرية في الخطاطة الآتية ¹⁰:



⁸ - الأزهر الزناد ، نظريات لسانية عرفنية ، دار محمد علي، تونس، ط1، 2010م ، ص 229-230.

⁹ - للتوسع ينظر : عمر بن دحمان ، الاستعارات والخطاب الأدبي، مقارنة معرفية معاصرة ، رسالة دكتوراه ، كلية الآداب ، جامعة مولود معمري- تيزي ورو ، الجزائر، 2012، ص 167-170.

¹⁰ - مارك تورنر ، مدخل في نظرية المزج المفهومي ، ترجمة الأزهر الزناد ، جامعة منوبة ، تونس، ط1، 2011، ص22.

وتأسيساً على ما قدم عن مفهوم الاستعارة التصويرية في اللسانيات المعرفية، فقد قسم جورج لاكوف ومارك جونسون الاستعارة إلى ثلاثة أقسام: الاستعارة البنيوية، والاستعارة الانطولوجية، والاستعارة الاتجاهية، واتخذت الدراسة هذا التقسيم في مباحثها الثلاثة، والتمثيل لكل مبحث بنماذج من معجم أساس البلاغة للزمخشري؛ لما فيه من ثراء مجازي وصور استعارية متنوعة. باتت ملمحاً بارزاً في المعجم، يصلح لمقارنته مقارنة معرفية، وهو ما ستعالجه مباحث الدراسة الثلاثة من خلال الشواهد والتحليل.

المبحث الأول: الاستعارة البنيوية:

الاستعارة البنيوية عند جورج لاكوف ومارك جونسون، مضمونها " أن نبنين تصوراً ما استعارياً بواسطة تصور آخر " ¹¹، أي أننا نقدم فهمنا لموضوع ما انطلاقاً من موضوع وتصور آخر، وتبنى الاستعارة البنيوية كالاستعارة الانطولوجية والاتجاهية على روابط نسقية تنبع من تجاربنا اليومية، على حد تعبير جورج لاكوف ومارك جونسون ¹².

وقد حضرت الاستعارة البنيوية في معجم أساس البلاغة حضوراً لافتاً، مثل الاستعارة الانطولوجية والاتجاهية. ومن نماذجها في المعجم قول الزمخشري " ذهب في مسلك خفي، وخذي مسالك الحق. وهذا كلام دقيق السلك: خفي المسلك " ¹³.

نلاحظ هنا ثلاث استعارات تصويرية بنيوية لوصف المجال الهدف " الفكر أو المنهج " ، وهذا التكثيف يسميه سيميوتيك " التعنق " أي " كثافة عالية للمفردات المستخدمة استعارياً " ¹⁴،

11 - الاستعارات التي نحيا بها ، ص 33.

12 - الاستعارات التي نحيا بها، ص 81.

13 - الزمخشري ، محمود بن عمر الزمخشري ، أساس البلاغة ، دار الفكر ، بيروت- لبنان ، د. طه دب ، ص 305. مادة (س ، ل ، ك) .

14 - إيلينا سيميوتيك ، الاستعارة في الخطاب ، ترجمة عماد عبد اللطيف وخالد توفيق ، المركز القومي للترجمة، ط1، 2013م، ص 64.

فالمجال الهدف واحد وهو المنهج ، والمجال المصدر متنوع " الطريق " ، و " النسيج " ، ويمكن تمثيل ذلك في الجدول الآتي :

المثال	المجال الهدف	المجال المصدر
ذهب في مسلك خفي	الفكر	الطريق
خذ في مسالك الحق	الفكر	الطريق
كلام دقيق السلك	الفكر	النسيج

الاستعارة الأولى : (ذهب في مسلك خفي) ، تصور المجال المجرد وهو الفكر المنحرف غير السليم من خلال المجال الحسي البصري وهو الطريق الملتوي غير الواضح والمستقيم¹⁵ ، بمعنى أننا نستعمل المجال المصدر الطريق والنسيج لفهم المجال الهدف الفكر ، فالطريق الواضح نسير فيه بدون صعوبة ونصل إلى النهاية ، بينما الطريق الغامض الملتوي كله صعوبات ولا نصل فيه إلى نهاية . ونشير هاهنا إلى التبئير على سمات محددة في المجال المصدر لتجسيد المجال الهدف ،

" فإن المتكلم لا يستعمل كل الخصائص التي تميز الميدان المصدر ، فهو يستعمل منها ما هو مألوف وبارز ومتعارف عليه " ¹⁶ .

¹⁵ - " ضل عن الطريق وعن القصد يضل ويضل ، وضل الطريق ، وأضلّه غيره وضلله " أساس البلاغة ، ص 378 . مادة (ض ، ل ،

ل) .

¹⁶ - محمد الصالح البوعمراني ، استعارة القوة في أدب جبران خليل جبران مقارنة عرفانية ، مكتبة علاء الدين ، صفاقس - تونس ، 2016 ، ص 44 .

وتم إسقاط المجال المحسوس على المجال المجرد المعنوي استنادا إلى ما عُرف في الثقافة العربية من أن المسلك الخفي الغامض يراد به المنحرف غير المستقيم، فالاستعارة تجسد الفكر المنحرف من خلال الطريق الغامض، من هنا فإن الثقافة والحياة الاجتماعية تسهمان في تشكيل التعبير المجازي . فهذه البنية الاستعارية تتصور المنهج طريقا ومكانا يستدعي الحركة للوصول ، وقد عبر عن هذا الأزهر الزناد بقوله " نحن أجساد تنتج اللغة والحركة والعمل والفكر " ¹⁷

والاستعارة الثانية: (خذ في مسالك الحق) ، تقدم مفهوما مجردا وهو المنهج المستقيم أو الحق بواسطة مفهوم ملموس مكاني حسي هو الطريق المستقيم . فالطريق الحق لا انحراف فيه ولا اعوجاج وفيه وصول إلى النهاية . ويمكن تمثيل الاستعارة الكبرى " الحق طريق " بمجموعة من الترسيمات (mappings) :

أ	ب
الميدان الهدف	الميدان المصدر
- الحق / المنهج السليم	- الطريق
- الاهتداء إلى الحق	- الاهتداء إلى الطريق السليم
- معرفة الحق	- معرفة الطريق السليم
- الوصول إلى الحق	- الوصول إلى النهاية

وعليه فإن مفهوم الطريق يصور مفهوم الحق ويكسبه خاصيات، تنسجم أجزاؤه مع بعضها البعض، وتتولد من الاستعارة الكبرى استعارات صغرى تتصل بها. وهذه البنية الاستعارية نابعة

¹⁷ - الأزهر الزناد ، اللغة والجسد ، مركز النشر الجامعي ، تونس، ط1، 2017م، ص 5.

من الثقافة العربية الإسلامية ، فقد صور الحق والإيمان والاستقامة بالطريق ، قال تعالى : (اهدنا الصراط المستقيم)¹⁸ ، وقال تعالى : (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ)¹⁹ . فالاستعارة تفهم " إذا انسجمت مع النمط الثقافي الذي نعيشه ، هذا النمط الذي يحكم أنساقنا التصويرية ورؤيتنا للعالم " ²⁰ .

والاستعارة الثالثة "كلام دقيق السلك" ، وهنا يكمل المجال المصدر تصور المنهج والفكرة ، ويقدم المنهج من خلال النسيج ، فالمراد بـ " السلك " : الخيط الذي يُنظم فيه الخرز ونحوه " ²¹ . فالنسيج هو المجال المصدر والمنهج هو المجال الهدف ، وأسقط خصائص المجال المصدر على المجال الهدف ؛ أي أسقط تصور النسيج خيوطه ومدى ترابطها على تصور بناء المنهج وترابط الأفكار . وذلك من خلال ما تقدمه الثقافة من أن ترابط الخيوط في النسيج يؤدي إلى إحكام العمل كذلك الأفكار الصحيحة المترابطة تؤدي إلى المنهج السليم .

انطلاقاً مما سبق ، فإن التعبير الاستعاري في الشواهد الثلاثة يقدم تصوراً شاملاً لأهمية المنهج والفكر السليم .

ومن الاستعارات البنيوية في المعجم قول الزمخشري " هزم عني معروفك نوائب الدهر . ولقاؤك يهزم الأحزان " ²² .

تقوم الاستعارة البنيوية في الجملتين على فهم المعنى المجرد (المعروف ، اللقاء أي الأعمال الخيرة) عن طريق المعنى المحسوس (السلاح في المعركة) . وتجسيد الأمر المجرد بواسطة بنية أخرى وهو مفهوم المعركة والحرب . فقد بني على أمر مألوف من التجارب اليومية ، مما يسهل فهمها .

18 - سورة الفاتحة ، آية 6 .

19 - سورة الأنعام ، آية 153 .

20 - محمد الصالح البوعمراني ، استعارة القوة في أدب جبران خليل جبران ، ص 56 .

21 - ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (س ، ل ، ك) .

22 - أساس البلاغة ، ص 702 . مادة (ه ، ز ، م) .

واستعارة " الخير سلاح " ، فالسلاح هو المصدر والخير هو الهدف، وتتشكل هذه الاستعارة بناء على الثقافة . ويمكن تمثيل إسقاط عناصر المجال المصدر على المجال الهدف في الآتي :

أ	ب
الميدان الهدف	الميدان المصدر
- الشخص يقوم بالخير	- المحارب يستعمل السلاح
- الخير	- السلاح
- الحياة	- المعركة
- الشر والمصائب	- العدو
- الانتصار على نوائب الدهر والحزن	- الانتصار في المعركة

من هنا فإننا نفهم الميدان الهدف المجرد بواسطة الميدان المصدر، وإسقاط عناصر الميدان المصدر على الميدان الهدف إسقاطا واعيا²³.

²³ - ينظر: وليد مزهر ، المناظرة والحجاج دراسة في النثر الأندلسي، دار شهريار للنشر والتوزيع، ط1، 2020، ص 147.

المبحث الثاني: الاستعارة الانطولوجية:

من أنواع الاستعارات التصويرية عند جورج لا يكوف ومارك جونسون الاستعارة الانطولوجية التي تصور الأمور المجردة والمعاني الذهنية بواسطة أنساق محسوسة فيزيائية، وتستعمل " لفهم الأحداث والأعمال والأنشطة والحالات، إننا نتصور الأحداث والأعمال استعاريا باعتبارها أشياء، والأنشطة باعتبارها مواد، والحالات باعتبارها أوعية " ²⁴، وقسمت إلى ثلاثة أنواع: استعارة الكيان والمادة، واستعارات الوعاء، واستعارات التشخيص ²⁵.

ومن الشواهد قول الزمخشري " انفجر عليهم العدو إذا جاءهم بغتة بكثرة ، وانفجرت عليهم الدواهي " ²⁶.

ندرك الأشياء المجردة بواسطة تصورها ككيان مادي له وجود في عالمنا الواقعي، فالعدو والدواهي مفاهيم مجردة، جسدت في صورة حسية؛ الشيء المادي القابل للانفجار، مما رسم في الذهن صورة للمقدار والحجم، فأسقط خصائص المجال المصدر على المجال الهدف لتقريبه إلى الأذهان وبيان شدته ووقعه، ولم يسقط كل خصائص المجال المصدر وإنما ما يتناسب مع المعنى. فالإسقاط " ليس إسقاطا آليا نسقط جميع خاصيات الميدان المصدر على الميدان الهدف، وإنما هو إسقاط انتقائي يقع فيه التبئير على خاصيات دون أخرى، وهو بذلك إسقاط تتحكم فيه الثقافة التي تحدد فهمنا للإسقاط وفهمنا للعالم " ²⁷.

وفي موضع آخر قال الزمخشري " وقع في مضيق من أمره ومضايق، وهو من أمره في ضيق، وضاق عليه الحيلة. وإذا تضايق عليك أمر فانتظر سعة، ولا يسعني أمر ويضيق عنك، وقد ضاق علي

²⁴ - الاستعارات التي نحيا بها، ص 48.

²⁵ - ينظر: جورج لايكوف ، حرب الخليج أو الاستعارات التي تقتل ، ترجمة جحفة عبد الحميد ، وعبد السلام سليم ، دار تويقال للنشر، المغرب ، ط1، 2005، ص 13.

²⁶ - أساس البلاغة، ص 464. مادة (ف ، ج ، ر) .

²⁷ - البوعمراني ، الاستعارات التصويرية وتحليل الخطاب السياسي ، ص 16.

صدره، وله نفس ضيقة، وأصابته ضيقة: فقر، وقد أضاق إضاقه، ورجل مضيق، وضيق على فلان "28. هنا تصور المصاعب والهموم والمتاعب بالمكان الضيق الذي يشعر فيه الإنسان بعدم الراحة والحرية، فيجسد الأمر المجرد بأمر محسوس، تقريبا للمعنى وإشراكا للمتلقي في هذا التصور.

ومن الاستعارات الانطولوجية في المعجم " العين وعاء "، قال الزمخشري: " ومن المجاز: نظرت إليه فملأت منه عيني، وهو يملأ العين حسنا، قال النمر:

أَلَمْ تَرَهَا تُرِيكَ غَدَاةً قَامَتْ بِمِلْءِ الْعَيْنِ مِنْ كَرَمٍ وَحُسْنٍ²⁹

وهو ملآن من الكرم، وملئ رعبا وملئ، وقرئ (ولمئت منهم رعبا)، وامتأ غيظا، وتمأ شعبا "30

في هذه الشواهد استعارات تصويرية انطولوجية، الاستعارات الأولى " نظرت إليه فملأت منه عيني، وهو يملأ العين حسنا، وهو ملآن من الكرم " تصور العين كالوعاء الذي يمتلئ بالجمال والحسن والكرم، والجمال مثل المادة المحسوسة، فنفهم المجال الهدف بواسطة المجال المصدر الوعاء. أما الاستعارات الأخرى فيجسد الرعب والغيب والشعب وكأنها مواد سائلة تملأ القلب، والجسد. وهنا يتجلى لنا التفكير العربي في تصور المشاعر وتقريبها للأذهان.

وقد جسدت الأمور المجردة في صور محسوسة، وتحولت المشاعر والصفات الحسنة إلى مواد سائلة تملأ الأوعية، فأسقطت المعارف المعلومة عن المجال المصدر على المجال الهدف.

28 - أساس البلاغة، ص 381. مادة (ض، ي، ق) .

29 - النمر بن تولب العكلي، الديوان ، جمعه وشرحه وحققه محمد نبيل طريفي ، دار صادر ، بيروت ، ط1، 2000، ص 132 .

30 - أساس البلاغة، ص 601. مادة (م ، ل ، أ).

ويمكن تمثيل إسقاط عناصر المجال المصدر على المجال الهدف في الآتي:

أ	ب
الميدان الهدف	الميدان المصدر
العين	وعاء
العين تمتلئ	الوعاء يمتلئ
الجمال	مادة سائلة
الكرم	مادة سائلة
الغيظ	مادة سائلة

المبحث الثالث: الاستعارة الاتجاهية:

تعد الاستعارة الاتجاهية عند جورج لا يكوف ومارك جونسون نوعاً من أنواع الاستعارات التصويرية، المرتبطة بالاتجاه الفضائي، لأن "أغلبها يرتبط بالاتجاه الفضائي: عال - مستفل - ، داخل - خارج، أمام - وراء ، فوق - تحت ، عميق - سطحي، مركزي-هامشي " ³¹، بناءً على أن "أجسادنا لها هذا الشكل الذي هي عليه، وكونها تشغل بهذا الشكل الذي تشغل به في محيطنا الفيزيائي " ³².

وتستعمل الاستعارة الاتجاهية في بيئتنا وتجاربنا اليومية، ومن أمثلة ذلك: "إنني في القمة اليوم " ³³ ، فعادة ترتبط في أذهاننا الأحداث الإيجابية بمصطلح "فوق" ، "أعلى" ، "رفع" ، "قوة" في حين ترتبط الأحداث السيئة بمصطلح "تحت" ، "أسفل" ، "خفض" ، "ضعف" ، ويصور المعنى المجرد في صور حسية، وقد حضر هذا النوع من الاستعارة في معجم أساس البلاغة ، وسنعرض لبعض تلك النماذج، ومنها المكانة (فوق / أعلى) ، الوضاعة (أسفل / تحت) :

قال الزمخشري " رجل رفيع الحسب والقدر.

ورفع قدره وخفضه.

وله رفعة في المنزلة " ³⁴ .

وفي موضع آخر " سفلت منزلته عند الأمير

31 - جورج لاكوف ومارك جونسون، الاستعارات التي نحيا بها، ص 33.

32 - جورج لاكوف ومارك جونسون، الاستعارات التي نحيا بها، ص 33.

33 - المرجع السابق .

34 - الزمخشري ، أساس البلاغة ، مادة (ر ف ع) ، ص 214.

وأمره كل يوم إلى سفال.

وقد سفل في النسب والعلم واستفل وتسفل.

وهو من سفلى مضر " 35

*المرجعيات الفيزيائية والثقافية لهذا التصور: ترتبط وضعية المكانة بالعلو والارتفاع ، وترتبط وضعية فقدان المكانة بالانخفاض والسقوط .

تضم هذه الأمثلة استعارات اتجاهية معرفية، إذ وظف فيها المتكلم الاستعارات الفضائية استنادا إلى العالم المحيط، ففي الواقع وفي الثقافة ترتبط المكانة والشأن بالعلو والارتفاع، في حين يرتبط ضعف المكانة وفقدانها بالانخفاض، ونلاحظ توظيف المتكلم لهذه الثنائية (رفع / خفض) في التعبير عن الشرف والمكانة. وأسقط المعنى المحسوس (رفع / خفض) على المعنى المجرد (المكانة والدونية والوضاعة)، وجمع بين عنصرين المستعار له الهدف (المكانة، والدونية)، والمستعار منه المصدر (رفع / خفض).

ومن شواهد الاتجاه المكاني (الأمام / الخلف): الأمام تقدم، والخلف تراجع

قال الزمخشري: " لفلان قدم في هذا الأمر: سابقة وتقدم.

ومشى فلان الإقدمية والتقدمية والإقدمية إذا تقدم في المكارم ومعالي الأمور. " 36.

وقال الزمخشري " مضى قدما وتأخر أخرا. وجاءوا في أخريات الناس " 37.

35 - الزمخشري، أساس البلاغة، مادة (س ف ل) ، ص 299.

36 - أساس البلاغة، ص 496 . مادة (ق، د، م).

37 - أساس البلاغة، ص 13، مادة (أ، خ، ر) .

* المنطلقات الفيزيائية والثقافية لهذا التصور: ترتبط وضعية التقدم عادة بالأفضلية، وترتبط وضعية التأخر بالتراجع.

هذه الشواهد تحوي استعارات اتجاهية حيث يرتبط التقدم بالفضل، في حين يرتبط التأخر بالتراجع، صور هذا المعنى بصورة حسية (أمام / خلف)، لما عرف في الثقافة من أن الأمام يمثل الأفضلية، والخلف يمثل التراجع والضعف. وهنا نرى أثر الجسد في تشكيل الصورة الاستعارية، فإن التقدم والتأخر من متعلقات الجسد، والمقصود الفضل والضعف، فقد استدعى المتكلم التقدم في المشي والتأخر لفهم وإدراك قيمة الفضل والمعروف. وإن المجال الهدف الذي أنشأت من أجله الاستعارة هو الفضل والمعروف، والمجال المصدر هو التقدم والتأخر، وجاء التصوير استناداً إلى حركة الجسد، " بتمثيل مجالات أو مفاهيم تجريدية على أساس الأجساد أو الأعضاء الجسدية، وفيها يكون الجسد مصدراً، " ³⁸. من هنا يتجلى دور العقل في إدراك وفهم هذه الصورة، ويمكن تمثيل هذا الدور في الآتي:

- معارف المصدر (التقدم والتأخر) هي أنها حركة الجسد للأمام والخلف.
- معارف الهدف (الفضل والمعروف والضعف) هي أنها قيم اجتماعية إيجابية وسلبية.

38 - الأزهر الزناد، نظريات لسانية عرفنية، ص 187.

الخاتمة:

يندرج هذا البحث ضمن الدراسات المهمة بالمقاربات اللسانية المعرفية، وهدف إلى تقديم مقارنة معرفية تطبيقية تقوم مدونها على التراث المعجمي العربي، وجاء بعنوان " الاستعارة التصويرية في معجم أساس البلاغة للزمخشري مقارنة معرفية " ، وبني على ثلاثة محاور: اهتم المبحث الأول بالاستعارة البنيوية، واختص الثاني بالاستعارة الانطولوجية، ودرس الثالث الاستعارة الاتجاهية. وتوصل البحث إلى النتائج الآتية:

- يعكس البحث تمظهرات التصوير الاستعاري في معجم أساس البلاغة، ويبين كيف تتشكل المفاهيم المعنوية المجردة بواسطة استعارات حسية متصلة بالسياق الثقافي والاجتماعي.
- لم تكن الاستعارة في المعجم زخرفاً لفظياً، بل أداة فكرية أسهمت في الكشف عن التفكير العربي وإدراكه للعالم.
- حضور الاستعارة التصويرية في معجم أساس البلاغة بأنواعها الثلاثة؛ البنيوية والانطولوجية والاتجاهية، يشي بأن الاستعارة في التراث العربي آلية ذهنية تسهم في تقديم الفهم العربي لذواتهم وعالمهم.
- قدم الزمخشري العديد من الأمثلة اللغوية التي تحوي الاستعارات التصويرية، مما يدل على ثراء التعبير المجازي العربي، وإدراكه في التعبير عن المجالات المجردة بمجالات حسية.

المراجع :

- الأزهر الزناد ، اللغة والجسد، مركز النشر الجامعي، تونس، ط1، 2017.
- الأزهر الزناد، نظريات لسانية عرفنية ، دار محمد علي، تونس، ط1، 2010.
- ايلينا سيمينو ، الاستعارة في الخطاب، ترجمة عماد عبد اللطيف و خالد توفيق ، المركز القومي للترجمة ، ط1، 2013.
- الجاحظ ، البيان والتبيين، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي ، القاهرة، ط5، 1985.
- جورج لايكوف ومارك جونسون، الاستعارات التي نحيا بها، ترجمة: عبد المجيد جحفة ، دار توبقال للنشر، ط2، 2009.
- جورج لايكوف ، حرب الخليج أو الاستعارات التي تقتل ، ترجمة جحفة عبد الحميد، وعبد السلام سليم ، دار توبقال للنشر، المغرب، ط1، 2005.
- خالد ميلاد ، الدلالة النظرية والتطبيقات ، الشركة التونسية للنشر، تونس، ط1، 2015.
- الزمخشري، محمود بن عمر الزمخشري، أساس البلاغة، دار الفكر ، بيروت- لبنان ، د. ط، د.ت .
- عبد العزيز الحويديق ، نظرية الاستعارة في التراث البلاغي العربي بنية الاستبدال واستراتيجيات البيان ، أفريقيا الشرق، د. ط، د.ت.
- عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر، دار المدينين جدة، ط1، 1991.

- عمر بن دحمان ، الاستعارات والخطاب الأدبي، مقارنة معرفية معاصرة ، رسالة دكتوراه ، كلية الآداب ، جامعة مولود معمري- تيزي ورو ، الجزائر، 2012.
- مارك تورنر ، مدخل في نظرية المزج المفهومي ، ترجمة الأزهر الزناد ، جامعة منوبة ، تونس، ط1، 2011.
- محمد الصالح البوعمراني ، الاستعارات التصويرية وتحليل الخطاب السياسي ، كنوز المعرفة، ط1، 2015.
- محمد الصالح البوعمراني ، استعارة القوة في أدب جبران خليل جبران مقارنة عرفانية ، مكتبة علاء الدين ، صفاقس – تونس، 2016.
- محمد الصالح البوعمراني ، دراسات نظرية وتطبيقية في علم الدلالة العرفاني ، مكتبة علاء الدين ، صفاقس ، ط1، 2009م.
- النمر بن تولب العكلي، الديوان ، جمعه وشرحه وحققه محمد نبيل طريفي ، دار صادر ، بيروت ، ط1، 2000.
- وليد مزهر ، المناظرة والحجاج دراسة في النثر الأندلسي، دار شهريار للنشر والتوزيع، ط1، 2020.